

الثغر الاخير: الباغوز

-روايتي عن الاحداث الموصلة إلى-السقوط

إهداء للشهداء الذين قاتلوا في سبيل الله وثبتوا حتى النهاية.
..إهداء للنساء اللواتي تَرَمَلْنَ والأطفال الذين يُتَمَوْنَ
لزيادة الوعي بقصة لا ينبغي نسيانها أبدًا
الحرب سجال والأيام دول، يوم لنا ويوم علينا



DAYS BETWEEN US

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

المقدمة

الفصل الأول: بدء الحصار

الفصل الثاني: الخلفية الجغرافية

الفصل الثالث: الأحداث: [1] غرانيح، [2] هجين، [3] سوسة

الفصل الرابع: سقوط هجين

الفصل الخامس: الطريق إلى الباغوز

الفصل السادس: دخول الباغوز

الفصل السابع: الخنادق

الفصل الثامن: وقف إطلاق النار الأول

الفصل التاسع: خروج العوائل

الفصل العاشر: المعارك الأخيرة

الفصل الحادي عشر: (صدقوا الله فصدقهم)

الفصل الثاني عشر: يوم المجزرة

الفصل الثالث عشر: التاسع عشر من آذار

الفصل الرابع عشر: الرحلة إلى الهول

الفصل الخامس عشر: دخلتُ الهول

ملاحظة: هذه الرواية، هي لأحداث من تجربتي الشخصية ومنظوري، وربما كنت قد مررتُ بتجربة مختلفة عن التي مر بها العديد من الأشخاص الآخرين الذين كانوا هناك؛ وبما أنني لم أتمكن من الاحتفاظ بالوثائق أو الصور أو تتبع التواريخ والأحداث التي حدثت، فإن التواريخ المذكورة هي تقدير تقريبي. ومع ذلك، حاولت أن أكون دقيقة قدر الإمكان.

أسأل الله أن ينفع بها كل من يقرأها.

وأدعو الله أن تكون معركة الباغوز والأهوال التي عشناها سبباً في تنبيه الغافلين ورفع الوعي لمن جهل تلك المعركة ولم يعرف أحداثها بسبب تكتم الإعلام والفضائيات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بُعث بالسيف بين يدي الساعة رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الكرام المُجاهدين. أمّا بعد..

تركت معركة الباغوز ألماً عميقاً في قلوب من كانوا حاضرين وعاشوا ليرروا حكاية محاربيها الشجعان.

غالبًا ما تدور الأحداث بذهني وكأنها حدثت البارحة!

بعد سنوات عديدة، قررت أن الوقت قد حان لمشاركة تجربتي من القصة والبوح بالذكريات التي تطاردني حتى لا أضطر لحملها على كتفي بعد الآن. إليكم رواية رحلتي إلى الباغوز والأحداث التي أدت إلى السقوط..

الفصل الأول: بدء الحصار

في يناير 2018 ، بدأ الحصار وأصبح الطعام يتقلص، والغذاء الوحيد هو الذي كان يدخل عن طريق التهريب، ولم يكن لدينا الكثير من الخيارات، وكان الطعام المتاح في السوق يُباع بسعر مرتفع للغاية. ومع ذلك، لا تزال هناك فواكه وخضروات طازجة.

في تلك الأيام كنا لا نزال نسيطر على العديد من القرى، مثل غرانيج وهجين وكشمة وشعفة وسوسة والمراشدة والباغوز.

وكان هناك طريق رئيسي طويل يمر عبر كل قرية، ويمكن للمرء أن يقود سيارته من هجين إلى الباغوز في غضون ساعتين إذا سلك الطريق السريع..

مع مرور الأشهر، ساء الوضع، ولاح في الأفق اليأس، وفي حلول أبريل 2018، اختفت السلع الطازجة من السوق، وكان كثير من الناس قد زرعوا الخضروات سابقًا في حدائقهم وكانوا يبيعونها. ومع ذلك، سيكون أول ما يتم بيعه! ولن يتمكن الكثير من الناس من الحصول على أي شيء.

كان هناك وقت اشترت فيه بصلاً صغيراً غير ناضج، وكنت ممتنة جداً لأنني تمكنت أخيراً من إضافة بعض النكهة إلى الطعام.

على الرغم من أن الأمور كانت تزداد سوءاً بسبب حصارنا من العدو، إلا أنني ما زلت متمسكةً بأمل أن يمنحنا الله مخرجاً على الرغم من أن كل شيء يعمل ضدنا.

مع سيطرة الملاحدة الأكراد على المزيد من الأراضي، زادت ثقتهم، وزعموا أنهم في غضون بضعة أشهر، سوف يقضون على جماعتنا ويحتلوا أراضيها؛ مزاعمٌ يتبجحون بها بعد كل قرية فقدناها.

وَقَتَ إِذْ، كنت أذكر نفسي بالصبر والإيمان الراسخ بأن الله سيفرج ذلك بقدرته.

قد يتساءل المرء، ما الذي كان يدور في أذهاننا للعيش في مثل هذه الظروف، معزولين عن العالم الخارجي ومحاطين بطريق رئيسي واحد فقط، في انتظار النصر؟

حسنًا، أجيّبُ على ذلك، لقد كان حب الدين هو الذي جعلنا نتحلّى بالصبر.

قال أحد امراءنا -تقبّله الله-: "أن تكون راعيًا لقطيع من الأغنام في دار الإسلام خير لك من أن تكون رجلًا ثريًا مطيعًا في دار الكفر".
لم أكن أرغب في مواجهة الإذلال الذي سيضعنا فيه العدو، وكنت أرغب في البقاء تحت حكمنا لأطول فترة ممكنة.
ولم أكن أتخيل أنني سأغادر أبدًا، لذلك تمسكت بأمل أن يهبنا الله مخرجًا.

الفصل الثاني: الخلفية الجغرافية

آخر سبع قرى

فقدت الدولة معظم أراضيها باستثناء القرى السبع الأخيرة. وكانت غرانيج هي المكان الذي يتواجد فيه معظم المهاجرين، لكنها كانت أول ما فقدناه.

وكانت هجين هي النقطة التالية التي كنت أقيم فيها؛ كانت جميلة، وبها الكثير من المساحات الخضراء، وكانت أرضها أكبر من القرى الأخرى. ومع ذلك، تم قصفها بشدة قبل الحصار وكانت في حالة خراب بحلول الوقت الذي وصلنا فيه، ومع ذلك ما زلنا نسكنها.

فعندما تعبر جسر هجين، ستدخل قرية كيشمه الصغيرة، ومن ثم تليها الشعفة؛ وكانت قرية أخرى بها الكثير من المهاجرين.

وكان في سوسة الأسواق الرئيسية التي يدخل إليها الطعام والمعونات الأخرى.

وأخيرًا كان لدينا المراشدة والباغوز؛ كانتا قريتين كبيرتين مع أراضي خضراء مورقة لأنّ ضفة النهر كانت بجوارهما.

فكانت الباغوز تسمى باغوز الفوقاني، وكانت قرية بها العديد من المساجد والمدارس، وكان يسكنها العديد من المهاجرين قبل أن تصبح آخر معق.



الفصل الثالث: الأحداث: [1] غرانيج، [2] هجين، [3] سوسة

[١] مدينة غرانيج

في فبراير 2018 وقع حدث غرانيج، وكانت هي القرية التي تواجه قوات العدو، مما جعلها هدفاً سهلاً.

خطت قوات سوريا الديمقراطية (قسد) لهجومها واقتحمت المدينة من جميع الجهات. ولم يسلم حتى النساء والأطفال من بطشهم، وتعرضوا لكمين في السوق.

ولم يكن أمام بعض الأخوات الشجاعات خيار سوى رفع أسلحتهن للدفاع عن أنفسهن وأطفالهن، وكانت هذه حرباً وحشية بمعنى الكلمة.

وبعد أيام قليلة تم التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بين قوات سوريا الديمقراطية والأخوة المجاهدين.

وسمحت قوات سوريا الديمقراطية للعائلات بالإخلاء بشرط واحد؛ هو ألا تخرج سيارات وكان عليهم أن يمشوا؛ فحزم كل من في غرانيج ما يستطيع حملة وبدأوا الرحلة الطويلة والخطيرة إلى هجين.

استغرقت الرحلة من غرانيج إلى هجين ساعات. ومع ذلك، قُتل بعض الأشخاص برصاص قناصة على طول الطريق، نسأل الله أن يتقبلهم ويرحمهم.

قبل الهجوم على غرانيج كانت الحياة آمنة وكان الأعداء بعيدين. ومع ذلك، كانت هذه هي المرة الأولى، من سنوات منذ الهجرة، التي شهدنا فيها دخول العدو إلينا بهذه الطريقة، وكان الجميع في حالة تأهب قصوى وكانوا خائفين مما تخبئه قادم الأيام.

على الرغم من أنني لم أكن حاضرة أثناء الهجوم على غرانيج، إلا أن الأخبار كانت تنتقل بسرعة، وكنت أنتظر بفارغ الصبر في هجين وصول أهلنا من غرانيج.

أخيراً، وصلت أخت ورفيقة لي، ورَوَت الأحداث وكيف اضطرت إلى التخلي عن كل شيء ماعدا حقيبة الظهر على كتفها وابنتها، ثم شَرَعُوا برحلتها سيراً على الأقدام، وأخبرتني أن أكون مستعدة لأن الأمور ستصبح أسوأ بكثير في قادم الأيام؛ إذا حدث هذا مرّة، فسيحدث بالفعل مرة أخرى.

بسبب الأدرينالين والخوف، قمنا على عجل بإعداد حقائب الطوارئ الخاصة بنا في حالة حدوث أي شيء آخر، وبرحمة الله حَصَلْنَا على مهلة وهدأت الأمور من جديد. ومع ذلك، كان الجميع لا يزالون على حافة الهاوية ويريدون أن يكونوا مستعدين؛ لذلك كنا نمارس الرياضة يومياً لاكتساب القوة، وتناول الطعام الصحي، وتقوية أطفالنا لأننا لم نكن نعرف ما سيجمله المستقبل.

[٢] مدينة هجين

في آب 2018 ، اندلعت معارك عنيفة بين الأكراد وقوات التحالف ضد الإخوة المجاهدين، وكانت الدولة ضعيفة وفي وضع الدفاع. ومع ذلك، وعلى الرغم من قلة عدد الإخوة، فقد وضعوا ثقتهم في الله وحده وقرروا مهاجمة العدو في عقر دارهم ومقارهم (مساكنهم وحصونهم العسكرية).

قال الله تعالى في سورة الأنفال: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}

التاريخ يعيد نفسه ، والكلمات بالضبط قيلت عنا.

خلال الغزوة ، تسببت عاصفة رملية في تحول لون السماء إلى اللون البني، وإذا نظرت من النافذة، لا يمكنك رؤية أي شيء.

لقد تسبب لنا ذلك بخوف شديد لأننا لم نكن نعرف ما إذا كانت الغزوة ستنتجح.

لكن في نهاية اليوم وصلتنا الأخبار عندما دخل الإخوة المجاهدين مقرات العدو وهرب الأكراد مثل الجبناء؛ ثم تمكّن المجاهدون من حرق

متعلقاتهما وإطلاق سراح أسرى الغزوة السابقة، وتم استبدال الأخوات بأسرى العدو، فكانت غزوة مباركة أفرحت قلوب الموحدين، وكان هذا هو شأن أولياء الله الصادقين، نحسبهم والله حسيبهم. وهم يخططون لغزوتهم، أعانهم الله بمدد من عنده سبحانه، فنصرهم!

[3] قرية السوسة

كان العدو يخطط ويحاول اكتشاف الطريقة الأكثر فعالية لإسقاطنا، وكان لديهم خياران: مهاجمتنا من هجين (قرية أكبر بكثير) أو شن هجوم من الباغوز (هجوم أصغر بكثير).

فقرروا في النهاية الهجوم من جانب الباغوز، وكانت معركة ضارية، وتمكن العدو من الاستيلاء على القرى الثلاث: الباغوز والمراشدة وسوسة.

فبعد المعركة أدرك العدو سهولة الاستيلاء على الباغوز. لذلك، بعد فوات الأوان، لدينا نظرية مفادها أنهم غيروا رأيهم وقرروا محاصرتنا في الباغوز والاحتفاظ بها كالمعقل الأخير.

وبعد بضعة أسابيع، استعاد الأخوان المجاهدون قرية الباغوز ومراشدة وسوسة؛ ثم بدأ العدو بوضع أعينه على الاستيلاء على هجين، والتي في النهاية شقُّوا طريقهم منها إلى الباغوز.

الفصل الرابع: سقوط مدينة هجين

بعد استعادة الباغوز ساد الهدوء مرة أخرى، ومرت ستة أشهر عندما بدت الأمور طبيعية، ولم يكن هناك الكثير من الحركة على الأرض! إلا أن هذا كان الهدوء الذي يسبق العاصفة، وأتاح لنا الله أن ننعم بحلاوة الأخوة والعائلة والكرامة.

وكانت هناك معارك صغيرة بين العدو والإخوة، لكن ليس بشكل ملحوظ. فكانت المروحيات تحلق فوقنا في هجين وتطلق الصواريخ على أطراف المدينة وعلى منازل المدنيين.

وكان الطعام ينفد، وتناقصت خيراتنا مع تقدم الأشهر، ولم يعد الطحين متوفرًا. ومع ذلك، فقد كنا محظوظين بما يكفي للحصول على بعض الحنطة، والتي كنا سنحولها إلى دقيق.

فقد باع جيراننا كيسًا من الذرة الحلوة المجففة، والتي تحولت أيضًا إلى دقيق، وكان الطعام الأكثر توافرًا هو الخبز البني [بالحنطة البنية] الذي نسميه "نخال"، وهذا النوع من الخبز سيجعل المعدة تمخض ويصعب مضغه ما لم يخلط بالدقيق البني أو الأبيض. ومع ذلك، كانت هذه نعمة من الله، وكنا نأكلها على أي حال.

فلم يتم بيع الكثير من الأشياء والمعونات في السوق، وبالرغم من ذلك، ان صادفنا أي شيء، كنا نحاول تخزينه، والذي كان أقرب إلى المستحيل.

وكان هناك إما نقص في المال، أو نقص في البضاعة، أو ببساطة قد تم فقدتها بسبب عدم العلم بأنه تم بيعها، وكنا نطبخ في الغالب على الحطب، وفي بعض الأحيان، نشترى مازوت (وقود) باهظ الثمن ونطبخ على ما يسمى "الببور".

فلم تكن الحياة اليومية سهلة مطلقًا، وبدأ الكثير من الناس يشعرون بالعبء؛ مما أدى هذا إلى مغادرة العديد من الناس، وكان خيار المغادرة مفتوحًا دائمًا، ويتم ذلك بالخروج من أراضي الدولة الإسلامية، والسير باتجاه جبهة العدو، وتسليم نفسك.

ويتم نقل النساء والرجال المدنيين إلى المخيم، بينما تم نقل الرجال المقاتلين إلى السجن.

ديسمبر 2018

حتى اللحظة، مضت ثمانية أشهر منذ وصولنا إلى هجين، وبدأنا نسمع إشاعات بأن العدو يستعد لمهاجمة المدينة، وبينما هم كانوا يستعدون؛ كنا نحن كذلك نستعد.

وقد كنت مرتبكة ولم أكن أعرف كيف أحزم الأمتعة، وكان لدي بالفعل حقيبة الطوارئ التي أعددتها قبل عدة أشهر، والتي أصبحت متربة وشبه منسية، ولكن حان الوقت أخيرًا لاستخدامها.

لقد قمت أيضًا بتعبئة حقيبة أخرى بكل الطعام الموجود في المنزل، ولم يكن كثيرًا، لكن حياتي كلها وضعت في حقبتين!

وكان العديد من الأشخاص قد غادروا هجين بالفعل، لكنني بقيت هناك مع ثلة آخرين، على أمل أن يتحسن الوضع. ومع ذلك، لم يكن هذا هو الحال.

في صباح أحد الأيام استيقظنا على صوت صواريخ تقصف القرية (الضيعة)، كان تدفقًا مستمرًا.

علمنا أنه ليس لدينا خيار آخر سوى المغادرة والانضمام إلى بقية المجموعة التي سبقتنا، وفي نفس الصباح، حملنا جميع متعلقاتنا وذهبنا إلى الطريق الرئيسي بحثًا عن شخص ينقلنا.

قكانت محطتنا التالية هي قرية الكيشمة، حيث مكثنا لمدة ثلاثة أسابيع، ووصلنا إلى منازل نشاركها مع العديد من العائلات.

فكنا جميعًا في حالة فرار، وكانت فترة عصيبة للغاية، وكان الجميع في حالة توتر.

أصبحت الحياة اليومية معقدة، وتنتقل بالأغراض باستمرار أو نضطر إلى تركها وراءنا بسبب صعوبة نقلها ونأمل أن نجد مثلها في وجهتنا التالية. وفي هذه المرحلة، بدأت العاصفة واشتدت.

أم هاجر (تقبلها الله)

كانت أم هاجر إحدى الأخوات اللاتي رافقتنا في الرحلة أثناء مغادرتنا وخروجنا من هجين، وكانت حاملاً في شهرها التاسع ومن المحتمل أن تلد في أي وقت، ولم ترغب في المغادرة، لكن زوجها أراد أن يحافظ عليها هي وجنينها الذي لم يولد بعد؛ لذا أخرجها وأخذها إلى بر الأمان، وقضى ليلته الأخيرة معها، ولم يكن يريد أن يدير ظهره للأمة بالبقاء مع أهله، وأراد الدفاع عن أعراض المسلمين، وقد فعل.

عاد أبو هاجر إلى هجين في اليوم التالي، لكنه لم يرجع هذه المرة، وكانت زوجته تنتظر بفارغ الصبر لسماع أي خبر عنه، وفي اليوم الرابع، قيل لها أن زوجها قُتل على الأرجح لأن هجين قد سيطر عليها العدو بالكامل، ولم يعد أحد من رفاقه في تلك المعركة، وفُقدت جميع أشكال الاتصال بهم.

أنجبت في نفس الليلة طفلة جميلة أسمتها هاجر، لذلك فرغت من عدتها في نفس اليوم؛ وأخبرتنا، فيما بعد، أنها اختارت تسمية ابنتها هاجر لأنها علمت أن ابنتها ستترك في الحصار دون والدها، مثل هاجر، زوجة إبراهيم عليه السلام (التي تُركت في الصحراء لوحدها دون أي رجل)

لم تشكوا أم هاجر أبداً، لكنها فقدت حقيبتها المليئة بأغراض ابنتها، وذات يوم رأيناها في السوق تبحث عن ملابس لابنتها وكانت عيناها قد مُلأت بالدموع، وفي النهاية، رزقها الله بملابس الأخوات الأخريات والحمد لله. حقاً كانت امرأة صبورة وقوية جداً، نسأل الله أن يتقبلها في الشهداء.

الفصل الخامس: الطريق إلى الباغوز

قبل أن نتجه إلى الباغوز، دخلنا قرية المراشدة المجاورة. ومع ذلك، كان الأمر خطيرًا للغاية بحلول الوقت الذي وصلنا فيه لأن قوات المعارضة كانت تهاجمها بشدة، وكانت القرية تكتظ بالعديد من العائلات الأخرى.

ففي المراشدة، تم وضعي في مجموعة واضطرت إلى الإقامة مع العديد من العائلات في منزل واحد؛ أكثر مما كنت معتادةً عليه.

على الرغم من أن هذه كانت المرة الأولى لي في مجموعة كبيرة، وكانت العديد من العائلات في مجموعات منذ أيام هجين أو حتى قبل ذلك.

ووصلت صديقتي من الهجرة وكانت تقيم في نفس المنزل الذي أقيم فيه، فلقد مرت شهور منذ آخر مرة رأيتها فيها لأن الظروف لم تسمح لنا برؤية بعضنا البعض كثيرًا، وكنت سعيدة عندما وصلت هي والعائلات الأخرى، على الرغم من الفوضى، فقد كان هناك شعور بالأمان والراحة في التواجد معًا، وكلهم يعانون من نفس الخوف وعدم الاطمئنان، ولقد ذكرني التنقل بهذه الطريقة بأيام هجرتنا.

فكانت الحياة اليومية في المراشدة صعبة، وكان الطبخ مُعقدًا، وكان الحصول على الماء أمرًا خطيرًا بسبب قناسة الأعداء الموجهة علينا، فكانوا يجلسون وينتظرون بجوار النهر لشن هجماتهم وقنص الأبرياء.

وكان هناك أيضًا تدفق من قبل العائلات التي هربت من القصف والدمار في سوسة، ولكن لم يعرفوا أنهم سيصلون إلى خطر أكبر.

وشقت بعض العائلات طريقها إلى الباغوز، متخيلة أنها أكثر أمانًا من المراشدة.

وأولئك الذين بقوا لم يتمكنوا من البقاء طويلاً لأن العدو كان يحيط بنا من كل جانب في هذه المرحلة، وقد تمكن الأخوان من رؤية العدو من جانب سوسة، وكان القتال يدور، والقنابل كانت تُلقى كل يوم.

وقيل ان اتفاقات الهدنة نوقشت بين الاخوة المجاهدون وقوات التحالف، وأرادوا منا أن نستسلم دون قتال، لكننا صمدنا..

وبمجرد السيطرة على قرية السوسة بالكامل واقترب العدو، كان علينا أن نشق طريقنا إلى الباغوز، وكان هذا خيارنا الأخير في البحث عن الأمان.

بين الباغوز والمراشدة، هناك ضفة نهر صغيرة عبرناها على سيارة وضعت على صندوق لنقلنا إلى الجانب الآخر، وقد سمعنا أن بعضاً من الأخوات أطلق عليهن الرصاص أثناء عبورهن الطريق، لذلك خشينا أن يحدث شيء خطير.

الحمد لله، عبرنا بأمان في غضون 20 دقيقة..

وبعد العبور، كان على النساء والأطفال الجلوس في حقل مفتوح من الصباح إلى المغرب بينما ذهب الرجال بحثاً عن مكان لنا للبقاء فيه، وأثناء قيامهم بذلك، وجدنا مكاناً لنصلي فيه صلاتنا في الحقل المفتوح، ونقوم بالتيمم.

فلم نأكل شيئاً في ذلك اليوم ولم نتمكن من تجهيز أي شيء للأطفال، ولكن الوقت مر بسرعة، ولم نشعر بالجوع.

ففي المغرب، عاد الرجال بخيبة أمل، وقالوا لنا إنهم لم يتمكنوا من العثور على مكان نبقى فيه، لذلك دخلنا مسجد عائشة (رضي الله عنها) القريب علينا.

فكانت تلك محطتي الأولى في قرية الباغوز.

الفصل السادس: دخول الباغوز

الباغوز - يناير 2019.

حينَ دخلنا المسجد، رأينا العديد من الأشخاص الذين نعرفهم، وسمعنا أيضًا عن كثيرين سلموا أنفسهم للقوات الكردية.

فكان المسجد يكتض بالنساء والأطفال، ولم تكن هناك مساحة كافية لبقاء الرجال، لذلك اضطروا للنوم في الخارج في أبرد شهور السنة! هؤلاء كانوا رجالنا، فلم يكن همهم أنفسهم بل أخواتهم في الإسلام.

ووجدنا بحمد الله أفرشة وأغطية نلتحف بها، ولم يكن هنالك مكان يكفي إلا للنوم، وخلال النهار، كنا نلف القُرُش والأغطية ونجلس في نفس المكان، ونشغل وقتنا ونستثمره في قراءة القرآن، والتحدث مع بعضنا البعض، أو التفكير بهدوء، وكان من الصعب التفكير حتى! فالمسجد كان كبيرًا، وفي كُل زاوية يوجد جسم يتدقًا.

فكان علينا أن نبدأ في التكيف مع ظروفنا المعيشية الجديدة وبذل قصارى جهدنا.

وكان الطعام يتم طبخه خارجًا في أي منطقة مفتوحة. أخيرًا، أخبرتنا إحدى الأخوات أنه يمكننا الطبخ في حديقتها الخلفية، فالأمر كان أسهل كثيرًا بالنسبة لنا. الحمد لله، كان منزلها كما المسجد؛ كانت كل غرفة مليئة بالعائلات والنساء والأطفال، وكنا قد وجدنا دقيقًا وخبزنا ما يكفي من الخبز لمدة أسبوع لنخزنه.

وكنت أقدر أن كوبًا واحدًا من الدقيق سيطعم شخصين بحيث يصنع رغيفين من الخبز، وكوبين يصنعان أربعة أرغفة من الخبز، وهكذا.

ففي هذه المرحلة، كان الشيء الوحيد الذي يتم بيعه في السوق هو اللحوم، وكان الناس يذبحون ماشيتهم ويبيعونها بأسعار باهظة، وكنا نطهوها على نيران الخشب للجميع.

غالبًا كان يتم توزيع الطعام مجانًا على العائلات التي ليس لديهم ما يأكلونه، وتأتي في أكياس بلاستيكية شفافة مملوءة بالشورية، وقليل من اللحم، وبعض البقوليات، كما قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: "يا أبا ذر، إذا طبخت مَرَقَةً فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك" (رواه مُسْلِم).

في النهاية، لم يُعد الخبز موجودًا، فكان الدقيق أول ما نَفِدَ، وكان يتم العثور على الأرز في بعض الأحيان كل أسبوعين.

ففي السوق، سترى أشخاصًا ينتظرون ويبحثون عن أي شيء لشرائه، وأولئك الذين ليس لديهم نقودًا كانوا ينتظرون رزقهم ليأتي في طريقهم.

خلال الشهر الأول في الباغوز، بقي معظم الناس في المنازل والمساجد. ومع ذلك، كان بعض الناس بالفعل في الخنادق، أولئك الذين كانوا في الخنادق جعلوها آمنة لفصل الشتاء، ففَضَّلَ معظم الناس البقاء في المنزل بسبب الشتاء البارد. ومع ذلك، لن يكون هناك مساحة إضافية بسبب كثرة عَدَدِ الأشخاص (الغرفة 5 × 5 أمتار) ستشغل ما لا يقل عن 50 شخصًا، لذلك أجبر الناس على البقاء في منطقة مفتوحة لحفر خندق لحماية أنفسهم.

عملية المغادرة

وصل كثير من الناس إلى حالة الانهيار، مما جعلهم سيقرون مغادرة أراضي الدولة الإسلامية، وكان بالفعل المدنيون ومقاتلو الدولة يغادرون، وكذلك العائلات، وكان لكل شخص سببًا؛ فكان لدى البعض أطفال يموتون

ببطء من الجوع، وأصيب آخرون، وكان الكثير منهم يعانون من مشاكل صحية أخرى.

وأي شخص أراد المغادرة كان يجب عليه أن يسير باتجاه نهاية أراضيها حتى يرى خط المواجهة لقوات التحالف الصليبي، ثم تُفتح جهة محددة للعائلات كي تغادر.

لذلك عندما ساروا باتجاه العدو، كانوا يدخلون البلدة التالية التي كانت لهم.

وقبل السماح لهم بالدخول، كانت هناك نقاط تفتيش، وبعد ذلك يقوم العاملون ما يسمون بـ "الإنسانيون" بنقل الناس إلى مخيمات اليونسف أو سجون التحالف للجيش المعني.

ولقد تم اتهام العديد من الرجال غير المقاتلين وسجنهم لفترة طويلة، ولا يزال الكثيرون هناك.

غريب الجزراوي

كان الأخ غريب الجزراوي أخ محبوب لدى الكثيرين، فتدل قصته على صدق رجال الباغوز، وقد كان هناك الكثير من أمثاله، لكن هو كان شخصاً نعرفه شخصياً.

أما غريب فكان في كتيبة عسكرية في قتال نشط جداً، وكانت عائلته تقيم بالقرب منا. فخاض (تقبله الله) معركة قبل إعلان "الهدنة الأولى"، وذهب إلى الجزء الغربي حيث كان بناء تلك المدرسة، وقام العدو بإرسال الجنود الأكراد لقتالهم. ومع ذلك، مثل الفتيات، كانوا يختبئون خلف المباني والجدران العالية.

وروي أن العدو هاجم الطريق الرئيسي فاضطر الفريق المكون من خمسة أو ستة أشقاء للدفاع. ولم يكن لديهم سيارات أو عربات همفي أو طائرات لمساعدتهم، لذا ساروا باتجاه العدو سيرًا على الأقدام، وتقدموا حتى يتمكنوا من رؤية العدو، وعندما تلاقَت أعينهم، بدأ العدو في الجري؛ وتم تبادل إطلاق النار بين الطرفين وخرج العدو من الشارع الرئيسي، وعند هذه النقطة توقف كل الإخوة باستثناء الأخ غريب، كان قد اندفع نحوهم بينما اتصل به بقية الإخوة وأمروه ألا يذهب وحده. فقال: "ليس اليوم، اليوم لن ارجع"، وبينما كان يجري، بدأ يطلق النار عليهم، فعلم العدو أن هناك من يقترب أكثر من نهايته، لذلك بدأ غريب في إطلاق النار عليهم بشكل مكثف، وقبل أن يغيب عن بصر الإخوة، شاهدوا غريب وهو يُقتل بالرصاص ويسقط أرضًا - ليصبح شهيدًا (نحسبه والله حسيبه).

ثم بعدها اضطررت للذهاب إلى أهل غريب لإبلاغهم بما حدث، وقبل أن أنتهي من الكلام، بكت عائلة غريب بدموع الفرح وهللت، "الله أكبر"، فكانت عائلته سعيدة لأنه لم يتعرض للإذلال، ولأنه التقى بربه ثابتًا في أفضل المواقف - في مواجهة العدو.

فَلَمْ يَكُنْ رَدُّ الْفِعْلِ الْمَتَوَقَّعِ، بَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَرْضِ الْبَاغُوزِ.

الفصل السابع: الخنادق

منتصف فبراير 2019

دخلنا الشهر الأخير من المعركة، والآن كل من اختار البقاء في أراضي الدولة الإسلامية كان في الخنادق تقريبًا، وكان لا يزال هُنالك أشخاصٌ في منازلٍ على الطريق الرئيسي وقليل منهم في المنطقة الزراعية. فكان أمامنا الطريق الرئيسي، والمنطقة الزراعية الكبيرة في الوسط، والنهر مِن خلفنا.

ومع مرور الأيام، ستصبح مساحة المنطقة الزراعية أصغر وأصغر مع تقدم العدو من الجانب الغربي، حيث تقع أراضي الأكراد خلف جبل الباغوز وإلى الجانب الغربي، وكان معظمنا في المزرعة المواجهة للجبل، والتي سرعان ما أصبحت مقبرة للجثث!.



حفر الخنادق

حاولنا أن نجعل خنادقنا عميقة قدر الإمكان، ومع ذلك، فإن الكثيرين لم يكلفوا أنفسهم عناء حفرها عميقًا وقاموا بنصب خيمة على سطح الأرض، نظرًا لأننا كنا نتحرك باستمرار، ولم يرغب بعض الناس في إهدار طاقتهم في الحفر، بينما كان البعض الآخر من النساء بدون رجل ليساعدهم. فسمعنا أن طلقات القناصة تدخل الخيام، لذا كان من الضروري تعميق الخنادق.

أرض الخنادق

عندما دخلت إلى أرض الخنادق، كان الأمر أشبه بمشهد سينمائي، لقد كانت دعوة للاستيقاظ، وكشف حقيقة هذا العالم، وقيمته، والأهم من ذلك، ذكرني أن وجهتنا النهائية ستكون في مسكن مماثل.

فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِأَمَانٍ، وَلَا حَتَّى النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ، وَكَانَ الْقَنَاصِينَ يَطْلُقُونَ الرِّصَاصَ الْعِشْوَانِي إِذَا خَرَجْنَا فِي الْمَكَانِ الْمَفْتُوحِ، وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ مَعْرِفَةَ هَدَفِهِمْ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ قِتَالٌ فِي الْخَنَادِقِ، وَكَانَتْ مَلِيئَةً بِالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ.

وكنا بحاجة للاستمرار في التحرك من مكان لآخر والذهاب أبعد من ذلك، وحين الوقت للانتقال مرة أخرى، وبينما كنت أسير على الأقدام، قررت التحدث مع عائلتي للمرة الأخيرة لأنني لم أتوقع أن أكون على قيد الحياة، بعد أن شاهدت ظروفنا.

فكانت العديد من الأفكار تمر في ذهني، وكنا مجموعة من العديد من النساء والأطفال نسير في صف واحد بينما كان الرجال أمامنا، ليقرروا أين يستقرون، فكان المشهد مروّعًا، ورأيت خنادق صغيرة تستخدم لقضاء الحاجة مغطاةً بقطعة قماش، وعلى مَقَرَبَةٍ من ذلك، كانت النساء تطبخ في الخارج على نيران خشبية؛ هكذا كنا نعيش.

ثم رصدت ذاك المنزل من بعيد، عندما رأيته لأول مرة، لم أدرك أنني رأيت هذا المنزل بالفعل في المنام، لذلك لم أفكر فيه كثيرًا، وواصلنا المضي قدمًا، فكنا في وسط الميدان بين الطريق الرئيسي والنهر، وهذا هو المكان الذي قررنا الاستقرار فيه.

فوضعت حقيبتني على الأرض وجلست عليها، أواجه الجبل، وأمامي حاوية مصنوعة من المعدن، ففتحت هاتفي لألتقط صورة لحذائي المغبر، وعندما نظرت مرة أخرى، فإذا برصاصة قناص اخترقت الحاوية، فنجوت من الموت بلطف الله، وكان من الممكن أن أتعرض للقنص بسهولة.

وبينما كان الأخوان يحفرون الخنادق، وحاولت النساء العثور على أي شيء لطهيته، فالمطر جعل كل الخشب رطبًا ومبللًا، لذا لم يكن يشتعل. لذلك، كان علينا استخدام الصوف من الأغطية والملابس لإشعال النار، كما جعل المطر الأرض صلبة، لذا لم يكن من السهل الحفر، فلم تستطع العديد من النساء العثور على أي شخص للبحث بدلًا عنهن، لذا كن يقمن بذلك بأنفسهن.

ففي غضون ذلك، كان عليهنَّ أيضًا البحث عن الطعام والعناية بالأطفال واحتياجاتهم.

فقد تُرك الأطفال بلا أحدٍ يعطف عليهم لأنه تم تجاهلهم باستمرار. في النهاية، توقفوا عن طلب أي شيء لأنهم لم يتلقوا أي رد. فعرف الكبار أن الأمر سينتهي قريبًا، بينما لم يكن لدى الأطفال مفهوم للوقت، كانت هذه هي الحياة التي عرفوها، لذلك لم يصدقوا أنها ستتغير أبدًا، وكان العديد من الأطفال يعانون من سوء التغذية، ولم يكن هناك سكر يمنحهم الطاقة، لذلك نجد الأطفال يجلسون في مجموعات ويحدقون في بعضهم بهدوء.

فكان العيش في هذه الظروف مرعبًا، ويمر كل يوم مع مواقف جديدة من التحديات والصعوبات.

أتذكر أنني كنت أسير بجوار الخندق لدخوله، وبينما كنت أغمض رأسي، حلقت رصاصة بالقرب مني، بالكاد أملتُ رأسي، فكانت هذه هي المرة الثانية التي ينقذني الله فيها.

في هذه المرحلة، كان القتال يدور على طرفي هذا الحقل، ولكن دون
نتيج

الفصل الثامن: وقف إطلاق النار الأول

في نهاية المطاف، سيعلمون "هدنة"، أي وقف لإطلاق النار، وأعلن ذلك من خلال مكبرات الصوت.

فأصبحت دولتنا الصغيرة صغيرة جدًا، لدرجة أن الكلمة ستصل إلى الجميع تقريبًا إذا تم الإعلان عن شيء ما في السوق، وكان الغرض من وقف إطلاق النار هو منح العائلات التي أرادت ترك فترة راحة حيث لا يحدث قتال، وكل يوم كانت مكبرات الصوت تعلن، "وقف إطلاق النار غدًا من الساعة الثامنة صباحًا حتى الساعة الثامنة مساءً".

فكانت أيام وقف إطلاق النار هادئة وسلمية، لكن في المساء، بعد الساعة الثامنة مساءً، كانوا يبدأون هجماتهم مرة أخرى، وكانت المروحيات تحلق فوقنا وتشن غارات جوية، ويطلقون رصاص بنادقهم وصواريخهم طوال الليل، مستهدفين المنازل المليئة بالمئات من النساء والأطفال، فقتل الكثير من الناس وقتلها، وكنا نعلم أن البقاء داخل المنازل لم يعد آمنًا.

أريد أن أؤكد أن المدنيين كانوا يقتلون بأعداد كبيرة، فعندما قال دونالد ترامب قبحه الله:

"I am going to bomb the #### out of them"

وتعني بأنه سوف يُلقى قنابل الجحيم على الجميع، فكان صادقًا في كلماته، وألقيت القنابل بشكل عشوائي على منازل مكتظة، وهذه شهادة سأقف بها أمام الله يوم القيامة، ولم يقتصر الأمر على قصف نقاط الرباط، فكانوا يقصفون حتى التجمعات!

همسات وارتباك

ودارت همسات مفادها أن أمراء ولاية البركة سعوا لإجراء مفاوضات، ولقد اتفقا على ما يسمى بـ "الهدنة الأولى": الاتفاق على أن الدولة ستوقف

القتال، وسيحصل الطرفان على قدر معين من الوقت للاستعداد للذهاب في رحلة، وكانوا سيسلمون بلدة إلى الدولة الإسلامية، بشرط أن نتبع أوامرهم.

مقابل اتباع أوامرهم، سنكون قادرين أيضًا على وضع شروط: عليهم أن يتوقفوا عن قتلنا وإرسال مساعدات إنسانية، ولكن كانت المشكلة في وضع شروطهم، فقد أرادوا أن تتخلى الدولة عن كل أسلحتها وتغير الراية. ومع ذلك، تم معارضة هذه الشروط، وجرت المزيد من المفاوضات، وقد منحنا هذا مزيدًا من الوقت ومدد وقف إطلاق النار.

فلا أعرف كم كان هذا صدقًا، ففي الحرب، لا يتم تقاسم الواقع دائمًا بين الناس، لكن كان هناك بالفعل بعض الحقيقة في ذلك، ووصلت المساعدات الإنسانية، وتوقف القتال.

وطلب قادة الكتائب من جميع الكتائب المقاتلة تجهيز المركبات للرحلة، فكان من الصعب تصديق ما يجري في ذلك الوقت، لكن حدث شيء مماثل عندما فقدنا مدينة الرقة، فتم الاتفاق على معاهدة سلم، وشهدنا الشاحنات ترافق العائلات من الرقة إلى البوكمال، وكان الارتباك يلوح في الأفق، ولم يعرف أحد ما كان يحدث، فكانت حقيقة الوضع غير واضحة.

وآنذاك تم نصح النساء والأطفال بالمغادرة وأخذ ما يمكنهم تحمله فقط، وقد تفاوتت ردود أفعال العائلات، ووصف البعض ذلك بأنه خيانة من الدولة وأنهم يتخلون عن نسائهم وأطفالهم، بينما شعر آخرون بالارتياح لأنهم أتيحت لهم فرصة المغادرة.

بالنسبة لي، أدركت أن الدولة لم يعد لها الأمر، منذ أن كنا مستضعفين، فلم يتبق الكثير من الخيارات، وكان القادة يبذلون قصارى جهدهم للتفاوض، في ظل ظروفنا.

وقف إطلاق النار

تم الإعلان عن أول هدنة رسمية في وقت المغرب نهاية شهر فبراير، وكنا محاطين بمساحة (1 × 3 كم) أو أصغر من ذلك، وكنت سعيدة لأن الأمر كان هادئًا أخيرًا وأني كنت مع رفيقات طبيبات، وذلك من شأنه أن يقويني، فالعديد منهن ستكون آخر مرة أراها فيها. فأعطينا الهدنة الوقت لحفر المزيد من الخنادق، وكان الإخوة يحفرون من أجل الأخوات اللاتي ليس لديهن خندق. في الوقت نفسه، غادر العديد من الناس خلال وقف إطلاق النار الأول، لذلك تم استخدام خنادقهم وممتلكاتهم من قبل الآخرين الآن.

الفصل التاسع: خروج العوائل

كانت استراتيجيتهم ناجحة، ولم يعد بإمكان الكثير التعامل مع الوضع على الأرض، وكان الناس يغادرون بأعداد هائلة وكبيرة.

فتوجهت (أم . ك) نحوي وسألتني كيف كنت في هذه الأيام الصعبة؟، استطعت أن أقول إنها كانت تمر بصراع داخلي، وبينما كانت تقف هناك، لاحظت الدموع على أطراف عينيها.

وقالت لي: "ابني يتصور جوعًا، وأخشى أنه قد يموت في أي لحظة". لا أعرف كيف أطمئنها، لكن حاولت أن أصبرها وأرفع معنوياتها، فتمر في ذهني أفكار كثيرة، هل هي مخطئة إذا غادرت؟!

كان الكثير من الناس يصرون أحكامًا، وكذلك كنت، إلى حد ما، حتى رأيت واقع الناس، ورأيت كيف كانت تعيش العائلات الأخرى، وبعضها كان أسوأ، والبعض الآخر يتمتع بظروف معيشية أفضل؛ جعلني التعرض لمثل هذه المشاهد أكثر تعاطفًا، وأدركت أنه يجب على الجميع السعي لإعطاء الأولوية لما هو أكثر أهمية. وبعد كل ذلك، الله وكيلهم وهو يعلم ما في قلوبهم.

لكن بالنسبة لي، لم أستطع رؤية نفسي في أي مكان إلا هنا، واستطعت سماع كلمات المنجنيق أبي محمد العدناني (تقبله الله) في أذني:

"هنا ريح الجنة، هنا الولاء والبراء، هنا العزة هنا الكرامة ولا عزة ولا كرامة إلا هنا؛ افهزم هؤلاء؟!"

فكانت كل هذه الأفكار تتسابق في ذهني بينما هي كانت تتحدث معي، أنهينا حديثنا، وأخبرتني أنها سعيدة برؤيتي وتأمل بأن يكون الوضع أفضل.

أم (أ)

(أم . أ) كانت أختًا طيبةً يحبها الكثيرون، قُتلت بطلقة نارية أطلقها عليها قناص أثناء مرورها من نقطة قريبة من المنزل الذي كانت تُقيم فيه صديقتي في الهجرة - تاركةً وراءها ثلاثة أبناء صغار.

فَسمع الجميع عنها في ذلك المساء، لأنّ موتها كان مفاجئًا، وليست غارة جوية كالمعتاد، بل مجرد رصاصة قناص عشوائية في مكان مزدحم للغاية في منتصف يوم عادي في الباغوز.

ففي اليوم التالي مررت من نفس المكان ورأيت ابنها يحمل مجرفة، أقتربت منه وسألتُهُ إذا كان بحاجة إلى شيء، فأجابَ بالنفي؛ ثم سألتُه عما كان يفعله، هل تحفر؟ أخبرني أنه دفن والدته وكان الآن يسوي التربة على قبرها!! أتمنى لو لم أسأله قط. احتفظ به الإخوة برفقة أشقائه الصغار، لذلك لم يشعروا بالوحدة بدون والدتهم.

فرصة

في هذه المرحلة، لم أحكم على أي شخص غادر، ومع ذلك، كان هدفي: انتظار النصر أو الموت، ومحاولة رفع كلمة لا إله إلا الله لتكون هي العليا، فعندما أفكر في الماضي، أضحك أحيانًا كيف كنت أتوقع نصرًا هناك بينما لم يتبق سوى بضعة كيلومترات مربعة من أراضي الدولة الإسلامية، لكنني على الأقل كنتُ أرجو الشَّهادَة، وأرفضُ مغادرة أرض الإسلام.

ثم سئلت، "هل تريدان المغادرة؟"

قُلْتُ "لا" بدون تردد.

"الخوف طبيعي، والله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وأنتِ إمراة، ولا أريد أن أقرر بدلًا عنك، والتهريب خيار، ويمكنك المغادرة، دون أن يتم أسركِ مِنَ العدو، ولا أعرف كيف سيحدث ذلك. أيضًا، إذا تم أسرنا، فإننا نعلم أننا لن نتعرض للأذى".

أنا مجبرةٌ على التفكير، وأنا أرفض.

أخيرًا أقول بغضب: "لا أريد الخروج، وقد أتيت إلى هذه الأرض لأعيش في ظل دولة تحكم بشرع الله، وطالما بقيت الدولة، كذلك أنا".

قيل لي إنها طلبت مني هذا لتأكيد أنني لن أقيم من أجل أي شخص، ولكن عندما أوضحت هدفي، قالت لي إنه كان من دواعي سروري أن أسمع أنني لا أريد المغادرة..

الفصل العاشر: المعارك الأخيرة

نهاية فبراير 2019 - التكبير

لم يدم وقف إطلاق النار طويلاً، وأُعلن ذلك مساءً خلال فترة صلاة المغرب عن نهايته، واستأنفوا هجماتهم وأحدثوا الفوضى والحرائق في كل مكان، وفي تلك الليلة اضطررنا للهرب من خنادقنا، فيما اندلع حريق وانتشرت النيران بسرعة بسبب الخيام والأسلحة المتواجدة في المنطقة، وسرعان ما تحرك نحونا، وكان هذا تكتيك يستخدمه أعداء الله، فكانوا يشعلون النيران في الليل لكي تدمر وتحرق الستائر والخيام، مما يجبر الناس على التجمع بشكل أقرب وأقرب.

فعندما اندلع الحريق بالقرب منا، قاموا أيضاً بقصفنا جواً، مما تسبب في نشوب حرائق جديدة، وأتذكر أنني دخلت خندق الجيران لأنه كان الأعمق ولكنه كان أيضاً الأضيّق.

حينها أصبت بنوبة ذعر خانقة! وحاولت تهدئة نفسي لمدة خمس إلى عشر دقائق، لكنها لم تنجح.

اضطرت إلى إخراج رأسي من الخندق للحصول على بعض الهواء النقي، فكان الرصاص يتطاير فوق رأسي! فكان لدي خياران، أمّا ذلك وأمّا الموت خنقاً في الخندق التي مساحته 1×1 م مع حوالي سبعة إلى ثمانية أشخاص.

فعندما حل منتصف الليل، كان الوضع أكثر هدوءاً، ولكن بعد ذلك تسلق الملاحدة الأكراد على الجرف ووضعو لافتاتهم - لافتة وحدات حماية الشعب الصفراء والعلم الوطني الكردي. ثم شغلوا الموسيقى، وراحوا يضحكون ويصرخون علينا، ردّاً على ذلك، بدأ الإخوة في القيام بالتكبير والتحميد والتهليل.

على بُعد كيلومترات قليلة من الأرض، يمكنك سماع صوت الموسيقى في أحد أطرافها وسماع التكبيرات في نهايتها، وبدأ بعض الإخوة بالتكبير، وفي النهاية انضم جميع الرجال.

فما زلت أسمع أصداء تلك الكلمات في أذني!

الله أكبر الله أكبر الله أكبر

لا إله إلا الله

الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلًا

الحمد لله وحده نصر عبده وأعزَّ جنده وهزم الأحزاب وحده

كنت أعلم في تلك اللحظة أن القتال ضد الدولة الإسلامية كان بالفعل قتالًا ضد دين الإسلام، حرب ضد الإسلام، فلم يكن هناك سبب آخر لقيام أمريكا بتشكيل تحالف صليبيٍّ مع العديد من الدويلات الكافرة وحكامهم المرتدين واستخدام هؤلاء الملاحدة الأكراد عديمي الفائدة الذين ليس لديهم أي هدف في الدنيا ولا الآخرة.

كنت أعلم أنهم يرغبون في هدم نور الله، وهنا أقول، بعد ما يقرب من أربع سنوات على ملحمة الباغور، إن الله لن يسمح بحدوث ذلك أبدًا، بل يتم الله نوره ولو كره الكافرون!

قال الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}. [سورة التوبة، الآية: (٣٢)]

ففي اليوم التالي عندما استيقظنا، تفقّدنا من نجا من القتل، ثم عدنا إلى خيامنا حيث لم يقع حريق بالقرب منا.

مر اليوم التالي في خوف واستعداد لحريق آخر، لكن في نفس الوقت كان علينا توخي الحذر من رصاص القناص الذي كان يطلق النار بشكل عشوائي كل دقيقتين، فكان الكثير يقتلون بطلقاته، كان هناك موت بعد موت.

الليلة التالية

قيل لنا في كل ليلة أن نبقي يقظين وننام مع أجهزتنا وحقائب الطوارئ، ولكن طُلب منا في تلك الليلة أن ننام بأحذيتنا أيضاً! فلم أنم خوفاً ولم أصغ للأمر وبقيت بدون حذائي معتقدةً أنني سأرتديها عندما يحين الوقت. وبعد حوالي ساعتين من العشاء، اندلع حريق كبير بالقرب منا، واقترب من جهتنا، فبدأ الناس من حولنا بالصراخ وطلبوا منا الخروج، فنغد الجميع، لكنني لم أجد حذائي! ولم أرغب في الركض بدونهم والدوس على أشلاء القتلى المتناثرة في كل مكان، أو على شيء يمكن أن يجرح قدمي، لذلك استغرق الأمر 40 ثانية على الأقل، لكنني وجدتهم وكنتُ آخر من ينفذ، ولله الحمد، ثم توجهنا نحو النهر..

الأضواء الساطعة

وجدنا شخصاً نعرفه، وطلب منا التوقف عن الركض والدخول إلى خيمتهم بسبب اقتراب طائرة AC-130 ، فعندما دخلنا الخندق، أصبحنا مكشوفين من السماء، فنزلت الطائرة أكثر فأكثر من فوقنا، وصدر صوت طائرة الهليكوبتر وإطلاق النيران وصفارات الإنذار في وقت واحد، فكان الصوت الأكثر رعباً الذي سمعته في حياتي.

سمعت شيئاً مشابهاً في الكيشمة، لكن ذلك كان قريباً منّا بل فوق رؤوسنا، لذا لم يكن الصوت كما هو، ولقد سمعتها أيضاً عندما وصلنا إلى الخنادق لأول مرة، ولكن كانت هُناك طبقة من قماش الخيمة بيننا وبين الطائرة، لذلك لم نتمكن من رؤيتها، لكن الآن، كانت أمام أعيننا، ولم يكن هناك مكان للاختباء..

ففي هذه اللحظة، ظننت أنني سأموت، وأنه سيطلق النار علينا في أي لحظة.

وكان من المعروف أن الطائرة تطلق رصاصات عيارها أكثر سمكاً من رصاص طراز AK47. وقبل أن تطلق طلقاتها، يظهر ضوء أبيض ويطلق

الرصاص بعد 10 ثوانٍ، فحاولنا أن نغطي أنفسنا بأفضل ما نستطيع، وكنا نجلس في صفوف: نساء وأطفال وحتى رجال.

لقد كانت حالة حزينّة وصلنا إليها، وكانت وجوهنا مليئة بالخوف، وأعيننا ترى الموت. ومضت الطائرة بالضوء الأبيض وأغمضت عينيّ، ولكن لم يحدث إطلاق نار، ثم مرة أخرى بعد ثلاث دقائق، حدث نفس الشيء، ومع ذلك لم يتم إطلاق الرصاص، ومن ثم للمرة الثالثة، ومضَ الضوء الأبيض الَّذي يمكن رؤيته في الأفق، ثم غادرت الطائرة حينها. أطلقت غارة جوية في مكان آخر، ليس في الساحة الأخيرة بل أمام النهر، حيث كنا.

لقد شعرنا بالنُّعاسِ الشَّدِيدِ بعد الَّذي حَدَثَ، وَكُنَّا قَدْ امتلأنا بالخوف بعد أن نجونا بصعوبة من الموت.

(حَيَّ عَلَى الْجِهَادِ)

في اليوم التالي استيقظت فَتَفَقَّدْتُ الجميع، وَجَدْتُ الناس الذين عرفناهم قد احترقوا أحياء في تلك الليلة، وتم إطلاق النار على الآخرين.

كان عليّ أن أحمل بضع لترات من الماء لهذا اليوم؛ بينما كنت أسير باتجاه النهر، إذ وَقَعَت عيني على المصابين، وكانوا يتلقون العلاج هناك، فكان هناك الكثير من الناس؛ وكل خيمة بها ما لا يقل عن ثلاثة إلى خمسة مصابين. كانوا يوزعون حبيبات السكر على الجرحى، وقدر الله أن أكون في التجمع حيث بدأوا فجأة في التوزيع، وكان الناس يتقاتلون للحصول على بعضه، وحصلت على البعض دون أن أطلبه، فمشيت راجعة، أبحث عن شخص مصاب أو طفل لأعطيه إياه.

فما زلت لم أتغلب على صدمة الليلة السابقة، وكانت إلى حد بعيد أكثر الليالي المروعة التي مررت بها، وأتذكر أن طعامنا في ذلك اليوم كان عبارة عن حليب مجفف محتلط بالماء؛ شرب كل واحد منا كوبًا منه.

وعندما عدت إلى حيث نمنا، سمعت طلقات نارية تتطاير في الهواء، فقام شخص ما باستفزاز العدو من الجُرف، ومن ثم قرروا الخروج.

خرجوا من الجرف وبدأوا بإطلاق النار على حقل تعيش فيه العائلات، فرأيت نساء يحملن أطفالاً حديثي الولادة والأطفال الصغار، جنباً إلى جنب مع بعض الرجال ويغادرون خنادقهم ليقوا في جهتنا.

وبينما كانت الرصاصات تتدفق في الهواء، رأيت رجلاً يتجول في الخيام ويقول بصوت عالٍ ، "حيّ على جهاد! قم ودافع عن أمتك (حيّ على الجهاد)". أتذكر مسيرة العزّ التي قام بها وهو يسير بكل فخر، وبمجرد النظر إليه، يترك الرجال أطفالهم ونسائهم وعملهم ومجارفهم، ويتبعون الرجل وهم يسرون خلفه، ومن ثم بدأ يمشي نحو الجرف، وفقدت أثره.

ولم أكن أعرف لماذا قام العدو بالهجوم سيراً على الأقدام كما لو أن الضربات الجوية ورصاص القناصة لم تكن تؤدي المهمة بالفعل، فكانوا يعلمون أننا خسرنّا، وكان بإمكانهم القضاء علينا بطرق عديدة، لكنهم قرروا الدخول، وربما أرادوا أن يموتوا على أيدي الإخوة لأنهم كانوا في الواقع يأتون إلى حتفهم.

فاندلعت المعارك بين الأخوة المجاهدون وقوات سوريا الديمقراطية (SDF) حتى تراجعوا وراء الجبل الذي كانوا يتحصنون به.

الفصل الحادي عشر: (صدقوا الله فصدقهم)

استقرت صديقتي من الهجرة في منزل يقع بين الطريق الرئيسي والنهر، ولقد رأيت في منامي رؤيا طويلة قبل الهجرة، وكانت على أجزاء، والجزء الثاني الأخير منها هو أن صديقتي في الهجرة أظهرت لي مبنى وأخبرتني أن مصرعها مكتوب هناك.

ففي هذه المرحلة، لم أكن أدرك أنه نفس المنزل الذي رأيته في الرؤيا. لكن بالنظر إلى الورا، علمت أنه كان كذلك، وحتى بدا كما هو، وكما اختارت مجموعة أخرى من الصديقات الاستقرار في منزل آخر على الطريق الرئيسي.

وكانت البيوت هي الهدف الحالي، وكلنا كنا نعرف ذلك، فقررت بعض المجموعات البقاء في المنازل، وكان ذلك إما خوفًا من الانتشار، أو لسهولة البقاء تحت سقف وداخل جدران، أو بالنسبة للبعض، كان الأمر يتعلق بإيفاء العهد والصدق.

"الصدق؟!"

سألتهم: "كيف ذلك؟"

قالوا لي: "كنا نهرب منذ سنوات عديدة، من الرقة حتى الآن، وأقمنا عهدًا مع الله لو أعطانا فرصة لقتال العدو سنفعل، والآن، نحن نهرب منهم عندما يقتربون منا!"

قلت لهم: "هذا لأننا لا نستطيع محاربة الضربات الجوية".

قالوا: "مسألة الضربات الجوية ستكون الخيار الأخير في هذه الحالة، ففي الوقت الحالي، العدو يتوسع على الطريق الرئيسي، لذلك لن يضربونا جواً إذا كانوا هناك يتقدمون برّاً".

قالوا لي: "إذا استطعنا منعهم من خلال كوننا دروع بشرية - حماية الأرامل والعائلات في الخنادق (التي خلفنا) ، فسيكون ذلك واجبًا كافيًا، وستكون فرصة لأن نكون صادقين مع الله".

مكثنا في المنزل معهم بضعة أيام قبل أن يصبح الأمر أكثر خطورة، وكان هذا عندما اشتدت الحرائق لدرجة أننا كنا نخشى الاحتراق أحياء في خنادقنا، فعرضوا علينا أن نبقى معهم للدفاع عن كل من يقف ورائنا.

فكُنْتُ بين خيارَيْن، خيار البقاء في المنزل أو العودة إلى خندقتي بالقرب من النهر، فاخترت الذهاب إلى الخندق لأنني كنت أخشى مواجهة العدو، وكانت العائلات التي بقيت في المنزل مختلفة، ففضلوا الله ودينه على خوفهم.

وفي طريق عودتي إلى الخندق، مررت بالمنزل الآخر الذي كانت صديقتي من الهجرة تُقيم فيه، ودخلت لرؤيتها، وتحدثت معها عن المغادرة من أراضي الدولة الإسلامية، ووضعت بعض الأفكار في ذهني، فكانت هذه آخر مرة أراها فيها. ثم غادرت.

وكانت تلك الليلة أصعب ما مررت به، وكانت الكثير من الأفكار تتسارع في ذهني.

رؤيا صادقة

قبل أسابيع، شوهدت (أم. ح) ورفيقاتها في المنام. مع رفع أجسادهم إلى السماء، تتلى سورة البقرة آية: (٢٠٧)

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}

عند دخولي الخندق في وقت المغرب، سمعت الرجال يقيمون الصلاة والناس يؤدون الدعاء.

كانت هذه الليلة هي الليلة التي كان الكثير يقومون فيها بالدعاء والبكاء والتضرع إلى الله. كذلك كنا ندعو، نسمع إطلاق مروحيات وغارات جوية ورصاص. كانت أكثر حدة من أي وقت مضى. كان خندقنا عميقاً لأننا كنا نحفره بمرور الوقت. لذلك كنا بأمان إذا لم يستهدفنا العدو بداخله. كما تم تغطية الجزء العلوي من الخندق بعدة طبقات من البطانيات.

بعد الدعاء والبكاء معاً، قررت الأخت في الخندق قراءة سورة البقرة. غالباً كنا نفعل هذا لأن الله يحمي من يقرأها. بينما كانت الأخت تقرأ، كنا في خوف دائم.

ثم تقرأ: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ أُبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}

وبينما كانت تقرأ الآية نسمع صوت ضربة جوية، لم تكن ضربة عادية، لكنها كانت ضربة قوية للغاية، كما لو أن مبنى ضخم قريب منا قد انهار. اهتزت الأرض كلها من حولنا. قالت لي بينما تفيض دموعها: "لقد رحلوا".

اقول لها لا تقلقي. كل ليلة كلما انفصلنا عن أحبائنا، نعتقد أنهم ماتوا. لكننا نلتقي بهم في اليوم التالي.

"لا!" تصرخ: "هذا مبنى. إنها ضربة هائلة، وليست أي إصابة عادية. هذا هو المبنى الذي كانوا فيه". أشعر بالارتباك، لا أعرف هل أبكي أو أحافظ على الأمل. ومع ذلك، في أعماقنا، علمنا أن بقية الطاقم قد اختفوا!

ثم أدرك كلانا مصادفة تلاوة الآية مع الضربة. لكن كيف لنا أن نؤكد؟ أخبرتني أنها ستذهب لتتأكد، وقلت لها إنها مجنونة حتى لو حاولت أخراج رأسها أثناء حدوث كل هذا.

طوال الليل كنا في حالة من الخوف واليأس، ثم دخل علينا الفجر، صلينا الفجر ولم نَم طوال الليل، وانتظرنا طلوع الشمس. طلعت الشمس لكنها لم تحمل معها بشرى سارة.

الناجون الوحيدون

بعد الفجر، اقترب الأخوان من المنزل للبحث عن ناجين، فاكتشفوا أن قوات سوريا الديمقراطية (SDF) سيطرت عليه.

قرر الأخوان استعادته لمعرفة ما حدث للعائلات، فكان المنزل في حالة خراب، ولكن بعض الغرف كانت لا تزال قائمة.

فوقعت اشتباكات لبعض الوقت بين الإخوة المجاهدين وبين عسكريين من قوات سوريا الديمقراطية (SDF).

في النهاية، دخل الأخ الأول للمنزل، وقال إنه كان في حالة خراب تام، والجثث والأمعاء وأجزاء الجسم والدم تناثرت في كل مكان، وكانوا يشمون رائحة دماء النساء والأطفال الممزوج بالبارود وقطع معدنية من الصواريخ.

وفي أحد أركان المنزل، كان أربعة أشخاص مختبئين، وكانوا الناجين الوحيدين، ونادى الإخوة قائلين أن الخروج آمن وانهم ليسوا من الملاحدة الأكراد، فشعروا بالارتياح لأنهم وجدوا الحياة في ذلك المنزل.

فشكر الناجون الإخوة على عودتهم، وأبلغوهم أن بقية المجموعة ماتوا ليلاً أثناء الغارات الجوية.

قاتل البعض لكنهم لقوا مصيرهم في النهاية، ولم ينج أي من الأطفال.

وقبل مغادرتهم المنزل، بحث الأخوان في الأنقاض للتأكد من عدم وجود ناجين آخرين، فاكتشف أحد الأخوة طفلة صغيرة يعرفوها، صاح "نور!" فعرفته..

فهرع إليها ورأى أنها مصابة بجروح خطيرة في عدة أماكن وعلى الأرجح كانت تعاني من نزيف داخلي، وقطعت قدمها والثانية كانت متدلية، ولم يكن هناك وقت لمعالجة أي شيء، فبدأ الأكراد هجومهم مرة أخرى على

المنزل، وكان عليهم جميعًا الخروج، فحمل أحد الإخوة نور، وخرجوا جميعًا من المنزل وعادوا إلى الخنادق.

وبقيت الفتاة الصغيرة معنا، ولم يكن لديها وقت أطول لتعيشه، ولم يكن هناك الكثير مما يمكننا فعله لمساعدتها، فكان الأمر يتعلق بالحفاظ على راحتها وتقليل معاناتها، وكانت تطلب الماء باستمرار، لكن الإخوة الذين لديهم خبرة في هذا المجال قالوا لنا ألا نعطيها أي شيء لأن نزيغها الداخلي سيزيد من آلامها ومعاناتها، فقامت أخت، بدافع الشفقة، بترطيب شفيتها مرارًا وتكرارًا، فماتت في وقت لاحق من ذلك اليوم خلال المجزرة.

طير أخضر في الجنة

بعد عدة أشهر من دخول الهول، رأت الأخت التي اعتنت بنور وبللت شفيتها مرارًا وتكرارًا رؤيا؛ وفي الرويا: كان هناك طائر أخضر صغير ينتقل من شخص لآخر، أولاً للأب، ثم للأم، ثم لأفراد الأسرة الآخرين. أخيرًا، ينتهي الطائر الأخضر الصغير مع أخته، تأخذه، وشعرت بالأسف لأنه استمر في المرور، ولاحظت أن الطائر الصغير قد أروي عطشه ونام بسلام، وبينما كانت تداعب الطائر، لاحظت إصابة ساقه، على غرار نور! تدرك أن الطائر الأخضر الصغير كان في الحقيقة نور المجزرة.

الفصل الثاني عشر: يوم المجزرة

18 مارس 2019 في ذلك الصباح بعد الفجر، طلعت الشمس، وعندما ظهر الضوء، بدأ الناس يُخرجون رؤوسهم من الخنادق لاستخدام المراحيض ولتفقد الجيران والأصدقاء والعائلة.

فخرجت للتحقق من وجود أي من الرجال حتى يتمكنوا من الذهاب إلى المنزل، دون أن أدرك أنهم ذهبوا بالفعل للتحقق، فبينما كنت أبحث عنهم، رأيتهم يسيرون نحوي، وكان أحد الإخوة يحمل نور على ظهره، وهي بنت إحدى الأخوات، فأخبرني أنهم ماتوا جميعًا، كما قُصف منزل صديقتي، وقتلت هي وابنها.

وبينما نتحدث، شدني، وقيل للأخوات الأخريات أن يتقدمن إلى الجبل، وفي هذه المرحلة، كانت هي المنطقة الآمنة الوحيدة، ولم يكن هناك وقت للحزن أو البكاء.

فهربنا من الجزء الغربي من الحقل متجهين نحو الجرف، ورأينا الجثث في كل مكان، والناس في اللحظات الأخيرة من حياتهم يموتون ببطء ويصرخون طلبًا للمساعدة، فمن يمكنه المساعدة في هذه المرحلة؟! كنا جميعًا في نفس القارب.

فكان علينا فقط الاستمرار في التحرك على أمل الهروب من الضربات الجوية، وبينما كنا نركض، وكنا نرى الأيدي والأرجل تتطاير في الهواء! فأدركنا أنهم كانوا يستهدفون الحشود، وكنا بحاجة إلى الانقسام إلى مجموعات أصغر، فبعد فوات الأوان، أتمنى لو بقينا معًا.

أصبحنا في مجموعة أصغر، وضربت أمامنا قذيفة على بعد ثلاثة أمتار! لذا عدنا للخلف من شدة الضربة وقوتها، وذهبنا داخل الخيمة لبضع دقائق.

ومن ثم سقطت غارة جوية على يميننا وأخرى على يسارنا، وكنا عالقين، غير قادرين على الرجوع للخلف، ولم يعد بإمكاننا سماع بعضنا البعض.

فكان العشب موحلاً وأصبح أسود مثل الفحم بسبب الضربات الجوية، فننتظر لنحاول إيجاد فرصة للهروب، وظل العدو يستهدف منطقتنا لأن الكثيرين منا احتشدوا معًا.

وكان البقاء في المكان غير آمن؛ ولم يكن لدينا خيار سوى الاستمرار في التحرك، وبينما نحاول التحرك، نجتاز امرأة مقطوعة ساقيها، وكانت تصرخ وترفع يديها نحوي طلبًا للمساعدة. فتوقفت عن الركض للحظة لمساعدتها، ولكن كان هناك اندفاع من الناس خلفي يحاولون الركض في نفس الاتجاه، فاضطرت إلى ترك يديها وتركها هناك، لأنني لم أستطع مساعدتها!.

فحاولنا جميعًا الاقتراب من النهر، بعيدًا عن القنبلة التي ألقيت خلفنا قبل لحظات، وعندما ضربت، شممت رائحة قوية من المسك، فلم يكن من هذا العالم، على عكس أي عطر سبق لي أن شممته، فانتشرت الرائحة في الهواء، ففي البداية، ظننت أنني أهذي، لذلك سألت الأخت التي بجواري إذا كانت تشم الرائحة، فكانت قادرة أيضًا على شم الرائحة القوية، تساءلت من هو الشهيد الذي انتشرت رائحة المسك في الهواء عند مقتله! وعندما بدأت الرائحة تتلاشى، شممنا النار والدم والمعدن، ورأينا المزيد من الضربات الجوية تقترب منا، لذلك تقترب أكثر من النهر. وفي محاولة للابتعاد عن الجماهير، أجد نفسي أركض في نفس الاتجاه الذي يركض فيه الناس، وأينما ذهبنا، فهناك حشد من الناس، وكنت أخشى أيضًا أن أكون وحيدة، لذلك تابعت الغرباء في وقت ما، وكان هناك العديد من الأطفال من حولي، وانتهى بنا المطاف بالقرب من خندق به مساحة كافية لنا جميعًا، فقررت أن أقول لجميع الأطفال الذين ورائي أن يذهبوا إلى هناك.

وبحثت عن أي شخص كبير، فأدركت أنني وحدي مع الأطفال. فاقتربت مني فتاة صغيرة كنت أعرفها، تبكي، وكانت تحاول أن تخبرني بشيء، فسألتها عن مكان والدتها ولكنني لم أستطع سماعها من الغارات الجوية المستمرة.

فأصيبت أختها الكبرى فأصبحت ذراعها مكسورة منحنية من الجانبين. وشرحت لي أنها رأت والدتها تضرب بشيء وأنها رأت دماغها، ومن الصعب أن تفهم الفتاة الصغيرة من خلال دموعها لكنها ظلت تكرر الكلمات!

"وكان الدم في كل مكان!"

ورأيت الفتاة الصغيرة أصيبت هي الأخرى، ودخلت قطعة معدنية من قبلة بجوار عينها، وبينما كنت أبحث حولي طلبًا للمساعدة، رأيت رجلًا وكان يحمل حقيبة طبية ويساعد أي شخص مصاب بجروح طفيفة، حتى في الوقت الذي تمطر فيه القنابل والرصاص.

فدعوت له دعاءً خالصًا، وحتى بعد سنوات عديدة، أسأل الله أن يوفقه في الدنيا والآخرة.

أشرنا إليه ليأتي ويرى حال الفتيات، فَقَدِمَ إلينا ثم قام بلمس أحدهنَّ وضمَّدَ الأخرى، وعندما انتهى، انهار برج ضخم من الكتل المجاورة لنا، وسقطت جميع الأنقاض علينا، فكنا الآن نصف مدفونين تحت الأنقاض، لكنها كانت أيضًا بمثابة حماية من رصاص القناصة، فمكثنا في هذا الوضع قُرابة الساعة الثانية مساءً حتى غروب الشمس، ولم يتوقف صوت القنابل والرصاص والمروحيات والصواريخ طوال النهار والمساء.

وفي وقت المغرب، رأينا أشخاصًا يقتربون منا من النهر، ويطلبون منا التوجه نحو الجرف، وكان الظلام مخيفًا لأننا كنا وحدنا، فحاولت البحث عن أي شخص أعرفه، لكنني اعتقدت أنهم ماتوا جميعًا، فبدأ الناس يهتفون بالأسماء ويبحثون عن أصدقائهم وعائلاتهم، فقابلت أخيرًا أختًا كنت أعرفها، كانت مع زوجها، وساعدوني في الدخول في خندق عشوائي، وتلقيت أخبارًا تفيد بأن العديد من الأشخاص الذين كنت أعرفهم قد لقوا حتفهم خلال اليوم، فبدأت أفقد الأمل، لكن بعد ذلك اقترب منا شخص ما، صارخًا باسمي، اجتمعنا مرة أخرى وقررنا على الفور أن نشق طريقنا إلى الجرف دون الحصول على لحظة لمعالجة ما حدث اليوم.

فكان السير نحو الجرف لا يوصف، وكان هناك دماء وجماجم وأجزاء من الأجسام ملقاة في كل مكان، وبسبب الظلام، بدا وكأنه فيلم رعب!

مشينا حتى وصلنا إلى الجرف، ثم سمعنا إعلان وقف إطلاق النار ابتداءً من الساعة الثامنة مساءً وحتى الساعة الثامنة مساءً اليوم التالي، وتوقف إطلاق النار والغارات والضوضاء العالية.

أخيرًا، نجد مكانًا للنوم، ولا نعرف ما يمكن أن يجلبه الغد. ولكن ذهني كان في حالة من الفوضى، ولم يكن لدي الطاقة للتفكير بعد الآن، وبمجرد أن أخفضت رأسي، غططت في نوم عميق.

لقاءهم الأخير: أبي أسامة (تقبله الله)

كان أبو أسامة من أوائل المهاجرين، كان أخًا صادقًا مخلصًا أحب دين الله، وكان قد أصيب بجروح خطيرة قبل أسبوع من يوم المجزرة، وكان لا يتحرك بسبب كسر قدميه، وكنا حين ننتقل من مكان إلى آخر خلال الأسبوع الأخير من المعركة، وكان الأخوة يعملون معًا لحمله، ورفض أن يترك أرض الشرف، أرض الإسلام، طلبًا للعلاج.


وخلال يوم المجزرة، وبينما كان الجميع يركضون، وكان الناس يرونه يزحف خلف الجموع، وكانت زوجته معه في كل لحظة، تسحبه، ولكن لم يكن لديه خيار سوى الزحف، رغم إصاباته في ذلك اليوم.

"سأقاتل حتى أنفاسي الأخيرة حتى أرى النصر، أو أموت وأنا ثابت".

كانت هذه كلماته قبل أشهر قليلة من الباغوز، ولقد نجا طوال يوم المذبحة، ولكن في الليل تم إعلان وقف إطلاق النار، وكان الجميع يشقون طريقهم إلى الجرف حيث يستسلمون في صباح اليوم التالي.

ولم يرد أبو أسامة أن يذهب، وظل يدعو الله أن يرزقه شهادته في دار الإسلام، فاضطرت أم أسامة إلى ترك زوجها المصاب بجروح بالغة على غطاء، ولم تدرك أن هذا سيكون آخر اجتماع لهم، وقالت له قبل أن تغادر: "سأعود من أجلك، ويجب أن أوصل الأطفال نحو الجبل، لأنني لا أستطيع حملك معهم".

وكانت مع الأخوات، أثناء الجري، لاحظت أن أطفالها لا يرتدون سترات أو أحذية، كما أن الجو بارد في الخارج، وكانت تطأ جثث الموتى المحترقة، وتنهمر الدموع على وجعها وهي تشاهد الخيام المحترقة والجثث المتفحمة لإخوتنا وأخواتنا وأطفالنا، وكان بعض الناس ما زالوا على قيد



الحياة ولكنهم أصيبوا بجروح بالغة جعلتهم على فراش الموت، وهم سيكون طلبًا للمساعدة، وكان قلبها يبكي، وكل ما تفكر فيه هو كيف ستعيد زوجها.

أخيرًا وضعت أطفالها على الجرف وعادت لاستعادة زوجها، وفي طريق عودتها، طلبت المساعدة، لكن الجميع كانوا متعبين ومصابين ويبحثون أيضًا عن المساعدة.

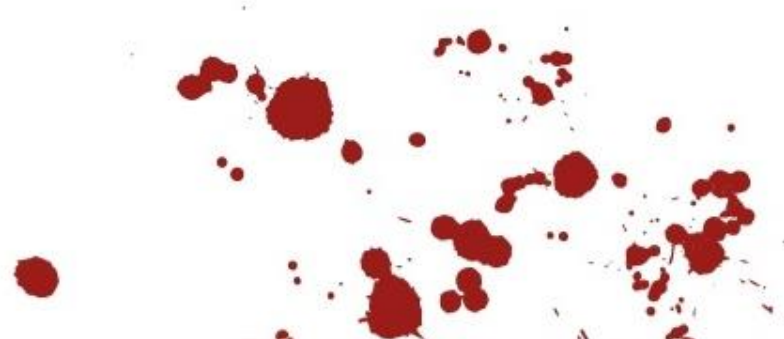
فعدت أخيرًا إلى حيث تركت زوجها، لكنها لم تتمكن من العثور عليه، تساءلت إلى أين ذهب لأنه لم يستطع التحرك بسبب إصاباته الشديدة!

نادت باسمه ووجدته أخيرًا من بعيد، ملفوفًا في الغطاء

كان لا يزال على قيد الحياة، يلتقط أنفاسه الأخيرة، ووضع رأسه على حجرها، وكان قد أصيب برصاصة في رأسه وكان يتقيأ دمًا.

فجلست هناك لبضع دقائق ممسكة به، وفي تلك اللحظة، كانت نصف ميتة، وكانت أتعس لحظة في حياتها، ولم تكن تعرف ماذا تفعل، سوا البكاء! لكنها لم تستطع فعل أي شيء، فقبل الله دعاء أبي أسامة، وقُتل في دار الإسلام.

ولم يكن لديها وقت لتفكر فيما حدث، فجاء الناس يركضون نحوها، يطلبون منها التحرك لأن العدو كان على وشك شن غارة جوية على تلك المنطقة، وكان عليها أن تترك زوجها غير مدفون مع الأسف والأسى، وعندما هربت، نظرت إلى الوراء، فسقطت غارة جوية حيث كانت تقف في السابق، لقد نجت من موتها.



الفصل الثالث عشر: التاسع عشر من مارس

كان ذلك في اليوم التالي، فأيقظتنا حرارة الشمس، وكنا جميعًا منهكين من الركض في الليلة السابقة.

وقد تم الإعلان عن الهدنة في الليلة السابقة الساعة 8:00 ، مما يعني أن السيارات ستصل في الصباح.

قل لي إنني سأغادر، وكنت في حالة صدمة، لكنني كنت المرأة الوحيدة التي نجت في مجموعتي، وأدركت أنني يجب أن أذهب.

كان الناس يعثرون على جثث في كل مكان، وأصيب عدد أكبر بجروح وتلقى الناس العلاج، وقام الأطباء أو أي شخص لديه معرفة طبية بفحص الجرحى وفعلوا ما بوسعهم للمساعدة.

أحلام محطمة

تمنيْتُ لو أنني قتلت في ذلك اليوم، حتى يكتب في التاريخ أنني كنت من الشهداء وأن الملائكة وربنا عزَّ وجلَّ سينظرون إليّ ويذكروني من بين مليارات البشر التي كنت بالفعل من بين الشهداء الشجعان، ذلك اليوم. لكنها لم تكن مكتوبةً لي.

ليس لدي كلمات لوصف ما شعرت به، وبعد كل ما مررت به وضحيته، فذهب كل شيء في لحظة، وانتهت المعركة وخسرنا!

ولقد صدمني هذا الإدراك وما زال ثقيلًا على قلبي، وانقلبت حياتي رأسًا على عقب، وكنت أدخل واقعًا جديدًا، وكان عليّ أن أخرج من أرض العزة إلى أرض الذل!

تركت كل شيء ورائي، وكل فرحة، وكل شخص من هذه الدنيا، وعائلتي للمجيء إلى هذا المكان، للعيش في ظل العزة، وقد انتهى الأمر! وذهب كل شيء أمام عيني، وما هو الغرض من حياتي الآن؟ ماذا كنت سأفعل؟

الواقع المرير

قيل لي أن السيارات كانت تصل قُرابة الظهر، ومنذ أن جاءت السيارات لتقلنا، توقف القصف في ذلك اليوم، ولم يتبق لنا سوى هذه الكهوف بالقرب من الجرف، وكان العدو وراء الجرف، ولكن بسبب حملنا للسلاح، لم يتمكنوا من التقدم علينا لأنهم كانوا يخشون على حياتهم.

يقال أن الناس مكثوا حتى 23 مارس..

غادرت ذلك اليوم.

في 19 مارس ...

الفصل الرابع عشر: الرحلة إلى الهول

19 مارس

كانت السيارة (الشاحنة) الأولى على وشك الوصول، وكنت مع مجموعة من المصابين بجروح خطيرة، لذلك صعدنا في السيارة الأولى، وكانت الشاحنة مفتوحة من الأعلى، وكانت هناك مسافة بين القضبان الخشبية حتى تتمكن من رؤية الخارج، وكان علينا أن نتسلق السلم للدخول.

فسافرنا في الشاحنة حوالي أربع إلى خمس ساعات، وأخذونا إلى منطقة صحراوية مفتوحة كنا نسميها "الصحراء".

فكانت هذه محطتنا الأولى، وتم تفتيشنا مرة أخرى.

وأمرنا بالخروج من الشاحنات وانتظار الشاحنات الخاصة لنقلنا إلى مخيم الهول، وخلال هذا الوقت، قاموا بفصل الرجال عن النساء، والمصابين عن غير المصابين، وكما قاموا بالتفتيش عن أي أسلحة أو رصاص أو أي معدات عسكرية، وحتى أنهم صادروا أشياء مثل قلامة الأظافر والمقص وأجهزة الشحن، معتقدين أننا سنخنقهم بها.

فرأينا جنود الأكراد، وكان من بينهم رجال ونساء وبعض العرب الذين انضموا إلى قوات سوريا الديمقراطية (SDF) - رؤية العرب أذلاء بينهم، حينها شعرت بالخيانة!

إذا كان الأكراد يقاتلون من أجل الأرض، فما الذي كان لهؤلاء العرب المحليون أن يقاتلون من أجله؟! لم أفهم لماذا يتحالفون مع عبدة النار لمحاربة شريعة الله.

وقبل فصلنا، فحصت النساء وجوهنا للتأكد من أننا نساء، وبرحمة الله لم يأمرنا بكشف العباءة ونزعها.

لكن! اضطر الرجال إلى خلع ستراتهم وثيابهم السميكة ولم يُسمح لهم إلا بالبقاء في ملابس مدنية، وكان الجو باردًا، حيث كان الشتاء لا يزال.

فكانت هذه آخر مرة رأيت فيها رجالنا إخوة الإسلام، الذين اعتنوا بالامة عندما نسيها المليارات، وكانوا يتعرضون للصراخ في إذلال ويعاملون مثل الحيوانات!.

فلقد دخل علينا الليل، وبعد فحصنا، جعلونا ننتظر لمدة 10-15 دقيقة، ثم وصلت السيارات الجديدة، فصعدت السيارة الأولى مرة أخرى، ووضع الجرحى في سيارات مخصصة، ونُقل بعضهم إلى سيارة إسعاف، وكان الإذلال مستمرًا، وهم يفتشوننا يقولون: "إِذَا أُتيت إلى هذه الدولة لتقاتلنا! أين دولتك الآن؟ وأين خليفتك؟" حتى أن البعض كان يضربنا.

دفعتني إحدى العسكريات الكرديات ذات المظهر الرجولي؛ فأخبرتها على الفور ألا تلمسني وأن تبعد عني، وهي تسخر مني، كنت مرهقة وأردت أن أصفعها، لكنني هددت وجلست في حزن، وصعدت امرأة كردية أخرى إلى السيارة، ففتحت حقيبتني فقط، لذا فهو ليس "تفتيشًا" للجميع، فأخذت 500 ليرة سورية، أي ما يعادل دولارين آنذاك، وشاحني، فسمحت لها بأخذهم دون مواجهة.

ولم أعد أمتلك هاتفًا بعد الآن؛ اضطررت إلى كسره قبل الخروج حتى لا يستغله أي كافر، وروى الكثيرون حوادث أسوأ بكثير في منطقة "الصحراء" هذه، لكن هذه كانت تجربتي.

20 مارس

سافرنا مرة أخرى لمدة أربع إلى خمس ساعات، ثم توقفنا للراحة، وفي اليوم التالي، في 20 مارس، سافرنا بالسيارة طوال الصباح وتوقفنا في وقت الظهر، وهذا هو المكان الذي التقينا فيه الجنود الأمريكيين، ولم تتوقف دموعي عن التدفق عندما رأيتهم يقفون هناك، ثم جاء أحد الجنود الأمريكيين ومعه مترجم وطلب مهاجرين، فأخذوهم جميعًا وتم اصطحابهم إلى سيارة أخرى.

ففضلت أن أكون بجوار الحافة حتى أكون أول من يخرج إذا حدث أي شيء.

أيضًا، بسبب تجربتي الخائفة في الباغوز، كانت القيادة مروعة، وكنت أبكي في كل لحظة، وكنت محظوظة لأنني أخذتُ غطاءً معي، إذ كنت أشعر بالبرد، واتضح أن ذلك الغطاء كان غطاءً الوحيد طوال الرحلة، وكانت الشاحنات مفتوحة من الأعلى، لذلك كانت الرياح تدخل باستمرار، وكان هناك مسافة بين بعض القطع الخشبية، مما جعل من الممكن إلقاء نظرة خاطفة على الخارج.

وسافرنا في تلك الليلة من العشاء حتى منتصف الليل، ثم أوقفوا السيارة وألقوا بأكياس بلاستيكية سميكة بها عصير وكعكة وأشياء أخرى.

أعطونا حوالي ستة حقائب لمشاركتها مع 20 شخصًا، وحصلت على حقيبة كاملة الحمد لله وشاركتها مع من حولي، وكانت هذه الحقيبة هي الشيء الوحيد الذي أملكه الآن.

وأذكر عندما نشأت وأنا أقرأ عن الحرب العالمية الثانية، الآن، كنت في وضع مماثل، وكنت أطوي ركبتني على بطني في محاولة لإيجاد وضع مريح، معتقدة أننا سنتحرك، ثم أوقفوا محرك الشاحنة وطلبوا منا الراحة. قال لهم الناطقون بالعربية أن يفتحوا السيارة حتى نتمكن من التنفس، فصعد جندي فوق السيارة وتحدث إلينا من أعلى وقال لنا أن نصمت وننام.

لم يكن لدينا خيار سوى النوم في السيارة المحشوة!

21 مارس

في صباح اليوم التالي، سافرنا طوال اليوم، وكنت ألقى نظرة خاطفة من على الخشب فرأيت أننا نسير في صف مثل القافلة، وكانت تقودنا سيارة عسكرية، وكانت تحمل راية YPG الصفراء وبعض الرايات الأخرى التي لا أتذكرها، وخلفها كانت سيارة سوداء تشبه وكالة المخابرات المركزية،

وخلفها كانت سيارة هامفي تحمل العلم الأمريكي، ثم كانت هناك بضعة السيارات العسكرية ثم شاحنتنا، وخلفنا كان هناك العديد من الشاحنات الأخرى المشابهة لشاحنتنا.

فمعظم الطرق التي عبرناها كانت على طراز الطرق السريعة التي تنقل من مدينة إلى أخرى، لذلك لم يكن هناك الكثير من المنعطفات، ولكن في كل مرة ينحني فيها الطريق، كنت أحاول عد السيارات التي تقف خلفنا، فكانت تُقاربُ العشرين سيارة، فتوقفنا عند الظهر وسُمح لنا بالخروج، وكان على الناس استخدام المرحاض في الأكياس البلاستيكية التي تلقيناها في أماكن عشوائية في الحقول المفتوحة.

وبعد ذلك، سافرنا طوال اليوم دون توقف، وكنت في وضع غير مريح للغاية طوال الوقت ولم أستطع التوقف عن البكاء، وكنت أبكي مثل امرأة مجنونة كل ساعتين، غير مصدقة أنني كنت في قافلة يقودها الأمريكيون! والكثير من الأفكار كانت تندفع في داخلي.

وكنت الآن وحدي - الوحيدة التي نجت من مجموعة صديقاتي! وكنت أراقب الوقت وظللت أتبع الوقت والتاريخ، وأشعر وكأنني سجينه بالفعل.

وعندما وصلنا أخيرًا إلى مخيم الهول توقفت الشاحنات ورأيت اللافتة المكتوب عليها * مخيم الهول *.

الفصل الخامس عشر: دخلتُ الهول

كان منتصف الليل قد حَلَّ حينها، وكنت أول من تطأ قدماها المخيم من الوافدين الجدد بعد إعلان وقف إطلاق النار.

فعندما وصلت، كان هناك ممرضات وعسكريات وموظفات الهول، وكانوا جميعًا يقفون في طابور يواجهنا، ويستقبلوننا في مقر إقامتنا الجديد.

ومن المفارقات أن هؤلاء النساء استقبلننا بينما حارب رجالهن ضدنا، فكان سكان الحسكة بشكل أساسي هم من انضموا إلى القتال ضد الدولة الإسلامية.

ومشيت نحوهم بدوار وشعرت أنني على وشك الانهيار على الأرض. فأعطتني امرأة كرسيًا مواجهًا لها باتجاه المخيم، فجلست ولففت بطانية من حولي بدافع الشفقة بسبب ما مرتت به.

ولكنني تساءلت أين كانت شفقتها عندما هاجمنا زوجها ووالدها وابنها! ألم تكن تستطيع استخدام تلك الأيدي نفسها لمنعهم من قتلنا؟!

ثم بدأ كل شيء بالتسارع، وكان العالم من حولي يتحرك بشكل أسرع مما أستطيع تصوُّره، وكان الأمر كما لو كنت في فيلم، فشعرت بالدوار والارتباك.

ورأيت أبواب الشاحات وهي تفتح والناس يدخلون المخيم، وكانت الأصوات تتزايد، وكانت هناك أصوات عالية قادمة من كل اتجاه تملأ السماء المفتوحة، وثرثرة الأصوات والمحادثة عن بعد، ووصول الأشخاص الذين يدخلون المخيم ويصطفون للتسجيل حتى يتمكنوا من الحصول على الخيام والضروريات الأخرى، فكان بعضهم يبحث عن طعام، وآخرون ينتظرون دورة المياه.

فجلست هناك لساعات دون أن أتحرك، ودون أن أتفوَّهَ بِأَيِّ كَلِمَةٍ.


مجرد التحديق في الجموع ومشاهدة اندفاع المسلمين يشقون طريقهم إلى المخيم.

فكنت في حالة صدمة كاملة، ولقد تعرفت على الكثير من النساء، فكنا معًا في مرحلة ما، ونعيش حياة كريمة تحت ظل دولة تحكمها شريعة الله.

والآن..!

عدنا معًا مرة أخرى، لكن هذه المرة سجناء.

وجلست هناك دون أن أنطق بشيء أو أن أرد على أي شخص اقترب مني، وبدأتُ حينها بالبكاء.



قصتنا كتبت في التاريخ بدمائنا ودموعنا وأشلائنا، وسار الكثير منا
على هذا الطريق فاصطفى الله منّا من اصطفى، وابتلى منّا من
ابتلى، فأصابنا ما أصابنا ولا نزكي على الله أحدا ولا نزكي أنفسنا،
فقد أنزل الله علينا الابتلاءات، ولم نسخط عليه إنما رضينا بما قدره
الله علينا.

نسأل الله أن يوحد الصادقين في الدنيا تحت راية التوحيد وتحت ظله
في الآخرة.

الحرب سجال، والايام دول، يوم لنا ويوم علينا

